

وضع قبائل إقليم برج بوعريّيج بعد انتفاضة المقراني 1871 في ضوء وثائق الأرشيف الفرنسي

Status of the tribes of Bordj-BouArreridj after the Mokrani
uprising 1871 Through the French archive documents

أ.د/كمال بيرم

جامعة محمد بوضياف - المسيلة (الجزائر)

تاريخ القبول: 2020/05/24

تاريخ الإرسال: 2020/04/20

ملخص:

لقد كانت لاننتفاضة المقراني 1871 انعكاسات اجتماعية جدّ مؤثرة على بنية المجتمع الجزائري وتوزيعه الجغرافي وعلاقاته، انطلاقا من ردّ الفعل العنيف لسلطة الاحتلال الفرنسية فقد تزامنت وحدوث تحولات سياسية دولية فقدت من خلالها فرنسا نفوذها بألمانيا بعد حرب 1870، وظهرت بها سياسة توسعية لدعاة الحركة الاستعمارية الجديدة متوازنة مع نمو الحركة الاستيطانية نحو الجزائر. وفي الوقت الذي جعلت انتفاضة المقراني حالة الركون للجزائريين بفعل عمليات القهر والمصادرة والتّقي والتّهمير، شكّلت من جهة لفرنسا فرصة سانحة لتحقيق مزيد من المكاسب والسيطرة على الأراضي خاصّة بإقليم المضاب العليا لتحقيق مشروعها الاستيطاني، حيث كانت المساندة الكبيرة من طرف القبائل للشّيوخ المقراني في جهاده ضدّ الاحتلال الفرنسي. في هذا الإطار تدرج مساهمتنا هذه والتي تسعى إلى إبراز جوانب من تأثير وتداعيات انتفاضة المقراني على منطقة البرج من النّاحية الاجتماعية، والتي لا نجدّها في كثير من الدّراسات التاريخية المتعلقة بالتّاريخ المحلي، ونقصد بها هنا مسألة التّهمير القسري الدّاخلية، الذي مارسه فرنسا عقب بعض الانتفاضات كانتفاضة المقراني 1871 ومن بعدها انتفاضة البوازيد بإقليم الزاب سنة 1875.

الكلمات المفتاحية: قبائل، المقراني، تهمير، برج بوعريّيج.

Abstract:

Al-Mokrani uprising of 1871 had repercussions on Algerian society, its structure, its geographic distribution and its relations, given the violent reaction of the French occupation authority. With the growth of the colonization movement towards Algeria and at a time when the uprising of Al-Mokrani made a state of dependence on the Algerians because of oppression, confiscation, exile and displacement of 'on the one hand, and on the other hand France has provided an opportunity to achieve more gains and control over the land, and men in particular in the region of the Bordj-bouarerdj, to carry out its colonization project, following the great support from the tribes for the uprising of Sheikh Al-Mokrani and were in his fight against the French occupation. In this context, our contribution lies in highlighting aspects of the impact and repercussions of the Al-Mokrani uprising on the Bordj-Bou arerdj region and on its tribes.

Keywords: tribes, mokrani, bordj-bouarerdj, deportation.

تقديم:

تعدّ انتفاضة المقراني وما صاحبها من أحداث وتدايعات محطة مرجعية في تاريخ الجزائر وفي الذاكرة الجماعية المحلية كما تركت بصمات قوية في مخيلة الساكنة الريفية التي كانت أراضيها مجالا لأحداثها، ومن بين هذه المناطق الرئيسية التي لا تزال تتفاعل ساكنتها بتاريخها وتتواصل معه قبائل وأرياف منطقة برج بوعريرج التي مثلت السند القوي لإمارة المقرانيين، وحصنه المتين، ومركز إمارته بمجانة بالقدر الذي تكبدت فيه ولايات ومصاعب الحياة بعد الانتفاضة.

كانت قبائل إقليم برج بوعريرج وخاصة منهم قبائل الحشم تمثل قوة أمن وحماية للطرق الرئيسية والحصون العسكرية خلال الفترة العثمانية، مثل الطريق السلطاني الواصل بين الجزائر وقسنطينة، والذي يمرّ بمنطقة برج بوعريرج ويمثل محطة هامة لنشاط قبائل الحشم الذي يمتد إلى الطرق الثانوية لبابلك الشرق وبابلك الوسط، وإلى مناطق القبائل الثائرة التي ظلت تقوم بتمردات ضدّ سلطة البابلك مثل عرش أولاد دراج وعرش أولاد ماضي بمنطقة المسيلة.

• وضع قبائل إقليم البرج قبل انتفاضة المقراني 1871:

ذكرت التقارير الفرنسية الأولى التي دَوّنت لقبائل منطقة برج بوعريّيج سنة 1845 أنّ عدد خيم قبائل الحشم وصل إلى 1400 خيمة كانت تستوطن المنطقة الممتدة بين جبل موريسام في الشّمال إلى منطقة رأس الوادي (toque ville) سابقا ومن الشّرق وادي مجانة إلى جبل الكاف، وواد بنية في الغرب وتضمّ مناطق برج بوعريّيج ومجانة وسيدي مبارك والعناصر. وقد ضمّت فرقا عديدة أهمها فرقة الدّواير وأولاد كدية والجعافرة والمكاية وأولاد البدار والنّشابة وبوخبار وأولاد عجيل وأولاد العقلة وأولاد شنيقي وأولاد حنايشية وأولاد الصّغار وألّعلاوة وقدرت إحصائيات السّلطة الفرنسية عدد قبائل الحشم المقرانيين سنة 1846 كما يلي⁽¹⁾:

جدول إحصائيات سكان الحشم 1846

السّكان	العدد	الماشية	العدد
الفرسان	400	الأبقار	6000
المشاة	840	الأغنام	10.000
السّكان/أطفال.نساء.شيوخ	4900	الخيول و الجمال	1800
المجموع	6200	البغال	2000
عدد الخيام	1400		

وحسب الإحصاء الذي قامت به سلطات الاحتلال سنة 1861 على سكان المناطق العسكرية التابعة لمحيط برج بوعريّيج التابع لقسمة سطيف ضمن مقاطعة قسنطينة والذي كانت تقع ضمنه قبائل الحشم الموزعة في إقليم مجانة وبرج بوعريّيج والعناصر وصنادة وبومرقد وهي مناطق ضمن أملاك ونفوذ المقرانيين. وقد ضمّت عائلة أولاد مقران وخدامها ما يزيد عن 428 رجل و427 امرأة و432 طفل لمجموع 1287 نسمة، بينما كانت تتكوّن قبائل الحشم الواقعة تحت نفوذ المقرانيين لمحيط برج بوعريّيج سنة 1861 كالتالي⁽²⁾:

المجموع	الأطفال	النساء	الرجال	القبائل
604	236	178	187	قبيلة البدارة
504	174	155	175	قبيلة أولاد عجيل
302	105	102	95	قبيلة اللعالة
642	270	198	180	قبيلة الكوابر
1385	533	419	433	اللعلاونة (سيدي مبارك)
304	117	86	101	قبيلة اللعلاونة
1132	472	318	348	أولاد لخضر
828	333	28	237	الحناشية
738	300	213	225	بني حمود
748	292	212	244	أولاد شنيقي
568	213	170	185	أولاد عقلة
510	191	164	155	الزلاقة
923	326	297	300	الحبانية
677	266	214	197	أولاد خليف
592	190	181	201	أولاد سنوسي
677	266	214	197	أولاد سيدسي
2038	663	660	715	أجانب
13099	المجموع			

● مصادرات أملاك قبائل منطقة برج بوعريـرج بعد انتفاضة المقراني 1871

بسبب مشاركتها القوية إلى جانب انتفاضة المقراني كانت منطقة البرج من أكثر المناطق التي تعرّضت لأقصى درجات القمع والمصادرة والتهجير القسري الخارجي والداخلي تحديداً، الذي تغفل عنه أغلب الكتابات التاريخية التي تعرضت لهذه الفترة. إضافة إلى المصادرة الجماعية لأملاك قبائل البرج الجماعية أو الفردية للعناصر البارزة في أسرة وحاشية

المقرّانيين وزعماء القبائل وقضاها التي شملها قرار 8 ماي 1872 الذي نصّ على مصادرة ملكية الباشاغا وعائلته، وقد توالّت المصادرات الأخرى لممتلكات قبائل البرج من 1873 إلى جويلية 1881م حيث صدرت ستة قرارات تحتوي على كل الأملاك العقارية لفروع أسرة المقرّاني، وسكان عين تاغروت وسدراتة وأولاد سيدي علي بوناب الذين صدر في حقهم قرار 1871/9/19، نذكر من بينهم القايد محمد بن عبد السلام وعائلته ولخضر بن العشاشي والصّحراوي بن العشاشي والحسناوي بن العشاشي والسّبي بن التّومي والصّغير بن رحاب وكذا فرقة عين الترك، ومنهم عائلات أولاد عبد الله وأولاد يحيى وأولاد سمشة. وصودرت أملاك قبيلة الحشم التي ذكر بعض أسمائهم في المصادرة التي جاء بها قرار 1872/7/16 مثل الصّبايحي قويدر بن بلخير، محمد بن عيسى، بوزيد بن عيشة، الجمعي بن عثمان، السّعيد بن ريري، بورحلة بن ريري، عبد الله بن بورنو. إضافة إلى قائمة طويلة لأسماء فرق أولاد خلوف مزينة العياض المكارطة الجبايلية.

وتّم معاقبة من ساندو الانتفاضة من قضاة منطقة البرج مثل قاضي البرج سي احمد بن المبارك والباش عادل سي المدني بن بسة بمجانة وسي محمد بن السّعدي من زمورة وسي احمد بن منصور من منصورة وشيخ المكارطة إبراهيم بن دحمان، وقوائم كثيرة تضمنها سجل الجريدة الرسمية لحكومة الجزائر لسنة 1872⁽³⁾.

• تهجير قبائل إقليم البرج إلى الحضنة 1876.

وقعت عدة هجرات من منطقة البرج نحو الخارج خوفا من الانتقام الفرنسي بعد انتفاضة 1871 وأخذت اتجاهات مختلفة نحو الشّرق والغرب، كان هاجس الانتقام من جانب الجيش الفرنسي عاملا كبيرا لها، ويذكر الحاكم العام الفرنسي الجنرال شانزي (Chanzy) في رسالة وجهها إلى عامل العاصمة بتاريخ 1874/3/23 عن هجرة القبائل المحليّة إلى الأراضي التّونسية إذ قال "في هذه الأثناء العديد من قبائل مقاطعتي قسنطينة والعاصمة تهاجر إلى تونس"⁽⁴⁾.

انتقلت عمليات القمع الاستعماري من مصادرة الأملاك إلى سياسة التّهجير بالقوة لقبائل منطقة البرج من مناطقهم الأصلية بالتل إلى مناطق خارجها، والتي سببت فراغ

المنطقة من السّكان بشكل كبير عقب انتهاء الثّورة وبداية عمليات المصادرة والمتابعة وإجراءات القهر الاستعمارية، ويشهد الفرنسيون أنفسهم لمدى التأثير الذي حلّ بالسّكان بمنطقة البرج.

فالضّابط باين (Payen) الذي شغل منصب رئيس المكتب العربي ببرج بوعريّيج بين سنوات 1860-1867 يؤكد في مقاله حول وضع دائرة البرج العسكرية خلال 1875⁽⁵⁾ بأنّ المقاطعة شهدت فراغا بشريا أكثر مما شهدته منطقة بجانة نفسها التي كانت تمثل إقليم عائلة المقراني وحشمه، ويذكر أن أغلب الأراضي قد وجدها جيش الاحتلال الفرنسي فارغة وتحت حرية تصرّفه فقد هجرت بالقوة جماعات كثيرة من قبائل الحشم بعد أن صودرت أراضيها الخصبة، وأملاكها بالمناطق التلية بمجانة وسيدي مبارك والعناصر وعين السلطان، وتمّ نقلهم إلى الحضنة بأراضي المسيلة القاحلة بمنطقة السعيدة والشلال السوامع⁽⁶⁾ وهي أراضي مصادرة أيضا من السّكان الذين ثاروا مع المقراني، وقدّرت بعض التقارير العسكرية عدد أفراد قبائل برج بوعريّيج الآتين من مدينة بجانة نحو وطن المسيلة بـ 526 فرد، ومن سيدي مبارك نحو أولاد ماضي 285 فرد ومن العناصر 485 فرد. وآخرين من بقية القبائل، خصّصت لهم مساحة من الأراضي قدرت بـ 34650 هكتار منها 8122 هكتار بأراضي بوحمدو "السوامع" و8541 هكتار بأراضي أولاد معتوق بالسعيدة بالحضنة و17896 هكتار بدوار الشلال وتقع كل هذه الأراضي بمنطقة الحضنة التي كانت تابعة إداريا وعسكريا لدائرة برج بوعريّيج.

ساد اسم الحشم في الوثائق الإدارية والمراسلات وحتى الكتابات الأوربية، ولعل هذا الإصرار من الإدارة الاستعمارية على تحول ما كان يطلق عليهم المقرانيين إلى الحشم دون ذكر اسم المقراني، هو دليل على رغبة حقيقية في طمس هذا الاسم من ذاكرة السكان المحليين، لأنّه يرتبط بحركة جهادية كانت قد لقيت صدى واستجابة واسعة منهم، ودليل على الأسلوب الاستعماري في مواجهة رموز المقاومة الشّعبية كي لا يكون اسمها عاملا في إعادة بعثها من جديد. والحشم الذين هجّروا إلى المسيلة⁽⁷⁾ هم فرسان المقراني الذين ينتمون إلى قبيلة الحشم الهلالية، والذين اختارهم أحمد المقران خلال اشتراكه مع حسين بن خير

الدين في افتتاح مدينة وهران عام 1563م، وأسكنهم سهل مجانة على سفوح جبل هريسان، وأصبحوا بذلك مصدر فرق الحرس والحزم. كما ينتمي عدد من الحشم إلى أصول قبائل العرب التي كونت جماعة المخزن خلال الحكم العثماني بمناطق حمزة تحت قيادة عائلات المقراني. حتى عام 1871م.

أدت مشاركة قوم الحشم القوية إلى جانب عائلة المقراني إلى تعرّض بعض عائلاتهم إلى الفرار أو المصادرة⁽⁸⁾ والتهجير نحو المسيلة وبريكة والمعاuid. أخذت مسألة الانتقام من قبائل البرج جانب التعميم، حيث لم تميّز فرنسا بين قبائل الحشم وغيرها، رغم أنها اعتمدت في تقاريرها تسمية قبائل الحشم.

قدّمت التقارير العسكرية أرقام كثيرة حول أعداد أفراد القبائل المهجرة من إقليم البرج إلى الحضنة منذ 1876 حيث قدر عدد أفراد الحشم الآتين من مدينة مجانة نحو وطن المسيلة بـ 526 فرد، ومن سيدي مبارك نحو أولاد ماضي 285 فرد ومن العناصر 485 فرد⁽⁹⁾. خصصت لهم مساحة من الأراضي بالحضنة قدرت بـ 34650 هكتار منها 8122 هكتار بأراضي بوحامدو "السّوامع" و 8541 هكتار بأراضي أولاد معتوق بالسعيدة و 17896 هكتار بدوار الشّلال⁽¹⁰⁾. وبدأت عملية تهجير قبائل الحشم من إقليم برج بوعرييج إلى الحضنة منذ 1876، وامتازت بالطّابع القهري والجماعي، أدت إلى تفكيك هذه الجماعة عن أصولها وفصلها عن أوطانها، فمثّلت عملية جراحية استنزفت الكثير من قيمها الاجتماعية والاقتصادية وروابطها، وأثّرت بذلك على مستقبلها وعلى مستقبل منطقة الاستقبال، كذلك أدت منذ 1876 إلى بروز مظاهر عدم الانسجام مع البيئة على أساس أنّ كلّ الأراضي التي منحت لهم أقلّ خصوبة ومردودية من أراضيهم المصادرة، ولأنّها أراضي جلف تعتمد إلا على فيض الأمطار والسيول⁽¹¹⁾. وبالموازاة مع هذه المعطيات الجغرافية عمدت فرنسا على إرغام قبائل إقليم البرج المهجرة إلى الحضنة على اختيار العمل في هذه الأراضي أو دفع غرامات بكلّ صرامة تطبيقاً لنصّ قانون 1844/10/01، الذي يخول الإدارة كراء أراضيهم للأهالي أو الأوربيين دونهم⁽¹²⁾.

اعتبرت ثورة المقراني 1871م أهم الثورات الشعبية التي اهتزت لها أغلب مناطق الجزائر الشرقية⁽¹³⁾ الوسطى فقد مثلت هيجانا شعبيا تلاحمت خلالها مختلف الأعراش مع عائلة المقرانيين وحشمها⁽¹⁴⁾. ومن أهم المناطق التي انتفضت وأعلنت مشايخها الجهاد ضد فرنسا منطقة المسيلة الواقعة في المناطق الداخلية للجزائر الشرقية وهي عبارة عن منخفض طبيعي محاط بسلاسل جبال المسيلة يتخللها شط المسيلة الكبير.

وبدأت عملية تهجير قبائل إقليم برج بوعريريج من التلّ إلى المسيلة منذ 1876 وامتازت بالطابع القهري والجماعي، أدت إلى تفكيك هذه الجماعة عن أصولها، وفصلها عن أوطانها، فمثلت عملية جراحية استنزفت الكثير من قيمها الاجتماعية والاقتصادية وروابطها، وأثرت بذلك على مستقبلها وعلى مستقبل منطقة الاستقبال، بحيث أدت منذ 1876 إلى بروز مظاهر عدم الانسجام مع البيئة على أساس أنّ كل الأراضي التي منحت لهم أقلّ خصوبة ومردودية من أراضيهم المصادرة، ولأنّها أراضي جلف لا تعتمد إلا على فيض الأمطار والسيول⁽¹⁵⁾ وبالموازاة مع هذه المعطيات الجغرافية عمدت فرنسا على إرغام الحشم على اختيار العمل في هذه الأراضي أو دفع غرامات بكل صرامة تطبيقا لنص قانون 1874/10/01، الذي يخول للإدارة كراء أراضيهم للأهالي أو الأوربيين دونهم.⁽¹⁶⁾

تتكون عناصر الحشم المهجرين من إقليم البرج إلى المسيلة من عدة فرق تتوزع بين عدة دواوير إدارية غير التوزيع التقليدي المرتكز على الوحدة القبلية، تم نقلها بالقوة وتوزيعها على عدة مناطق من إقليم المسيلة منذ 1876م، وكانت هذه العناصر تقطن مناطق مجانة والعناصر، وسيد مبارك، وصنادة، وهي أراضي تلية خصبة ذات طابع ملكية خاصة لهم وهذه الفرق هي⁽¹⁷⁾:

- **قبيلة مجانة:** تتكون جماعة منطقة مجانة من فرق: مقدم، مجانة، دار زيتون، أولاد خليف، بوكشاشطة، القرية، حسناوة، خروبة، وقد قدر عدد المرحلين بنحو 526 نسمة وقد تم تنصيبهم بأراضي السوامع بالمسيلة ومنحت لهم مساحة 8211 هكتار.
- **قبيلة العناصر:** تتكون جماعة حشم منطقة العناصر من فرق: حناشية وهم أهل الأغلبية، وأولاد شنتي، مقدم، بليمور، أولاد خلوف، أولاد رياح، بومرقد، العناصر

سنارة، وقدر عددهم بـ 485 نسمة ثم تنصيب بأراضي الشلال بعرش أولاد ماضي في المسيلة في مساحة 10.988 هكتار⁽¹⁸⁾.

- **قبيلة سيدي مبارك:** تتكون جماعة منطقة سيدي مبارك من فرق: عين تاغروت شويجة (التابعة لقيادة زمورة) بن أحمد، علونية، سيدي مبارك، ريغا، زمورة، أولاد عكر وضمت 280 عنصر تم تنصيبهم في أراضي السعيدة بعرش أولاد ماضي في المسيلة في مساحة 8541 هكتارا.

- **قبيلة صنادة:** جماعة منطقة صنادة تتكوّن من فرق؛ مزيطة، سيدي موسى، مجانة أولاد عجيل، الدواير، وضمت 223 عنصرا، تم نقلهم إلى أراضي الشلال بعرش أولاد ماضي في المسيلة في مساحة 6898 هكتار.

وقد بلغ مجموع الأراضي التي منحت لحشم المقراني بمختلف فرقهم بمنطقة المسيلة 34649 هكتار وزّعت عليهم في عدة مواضع منها منطقة بوحامادو التي كانت تضم جزء كبير من عرش السوامع الذي ثار الى جانب المقرانيين وموضع الشلال وموضع السعيدة التي يتواجد بها عرش أولاد ماضي، ومواضع أخرى مثل المعاضيد.

أدّت هذه العملية إلى تداعيات خطيرة مسّت العلاقات الاجتماعية لفتي الحشم وسكان المسيلة، كما أفرزت واقعا اجتماعيا واقتصاديا جديدا أدّى إلى إحداث خلل في استقرار وتوزيع السكان من جهة، وفي وتيرة النشاط الاقتصادي المرتبط بالأراضي التي مستها هذه العملية إلا أنّ هذه العناصر من جماعة الحشم لم يستقرّ بها المقام بأراضي المسيلة، ولم يحصل اندماج بينها وأهالي المنطقة لمدة طويلة مما دفع بأغلبيتها إلى العودة في فترات منقطعة إلى أراضي التلّ بإقليم مجانة وسطيف والبرج لتترك مشكلا عقاريا قائما إلى ما بعد الاستقلال.

احتضنت أعراس المسيلة عائلة المقرانيين في مختلف فترات الانتفاضة إلى غاية نهايتها وبقدر هذا التلاحم الذي كان بين أهل الحضنة والمقرانيين خلال وبعد الانتفاضة، كان ردّ الاستعمار عنيفا ضدّ هذه المنطقة بالقمع والمصادرة والتّهجير والعقاب. لقد شهدت العديد من تقارير الضّباط والقيادات الفرنسية بين سنوات 1871م - 1876م⁽¹⁹⁾ عن طبيعة الرد الفرنسي، ومعاملته لقبائل الحضنة التي ثارت إلى جانب المقرانيين، مع عملية نقل قبائل البرج

وتحجيرهم بالقوة فيما بعد من إقليم مجانة وبرج بوعريّيج بالحضاب العليا إلى منطقة المسيلة بالمناطق السّهلية الداخلية والتي حملت جملة من الأبعاد الاستعمارية، ومظاهر الحقد والانتقام والعنصرية، وتساءلت آنذاك كثير من تقارير ومراسلات القادة الفرنسيين، هل هي عملية تنظيمية لإدارة الحكم المدني الجديد بالجزائر، أم هي عملية سياسية أم عملية انتقام جماعية ضدّ الجزائريين؟.

فإذا كانت عملية تنظيمية في إطار المصادرات الجماعية يرى قائد مقاطعة قسنطينة في تقرير 1876/3/22م أنّ الحشم الذين لهم أملاك بالتلّ يمكن مقايضتهم بأراضي من المسيلة إلا أن الحشم الذين لا يملكون أراضي يمكن بقاؤهم بالتلّ كأجراء عند المعمرين الأوروبيين (النازحون من الألزاس واللورين).

وإذا كانت العملية سياسية يرى نفس الضّابط أنّ القرار الحكمي الذي صدر في الفاتح جانفي 1876م الذي اعتمد اقتراحات مقاطعة قسنطينة المقدمة سنة 1874م يجعل العملية عامة تشمل كل سكان إقليم البرج بدون استثناء. لأنّ القرار في مادته الثّانية ينص: (كلّ السكان الأهالي لعرش الحشم سوف يرحلون إلى أراضي المسيلة المتروكة من طرف قبائل أولاد معتوق والسوامع وأولاد علي بن خالد وأولاد يحيى)⁽²⁰⁾ وأنّ عملية ترك الحشم غير الملاك في أوطانهم يعتبر خرقاً للقانون الاستعماري نفسه؛ لأنّ هذه الفئة تكون خارج العقوبة المفروضة على إخوانهم الملاك وعبارات التقرير تبرز بوضوح تامّ عن البعد الاستعماري الفرنسي لكل تشريعات وتصرفات القيادة العسكرية الفرنسية في الجزائر عقب وصول الاستعماريون الجدد إلى الحكم بعد هزيمة 1870م مع ألمانيا.

العملية جمعت الهدف السّياسي والإجراء العقابي معاً، كما جاء في تقرير قائد مقاطعة برج بوعريّيج كما أنّ العملية تزامنت مع أحداث الحرب السّبعينية بأوروبا ومسألة المهاجرين من الألزاس واللّورين نحو الجزائر.

من الوجهة السّياسية أرادت فرنسا القضاء على المقرّنين وأنصارهم باعتبارهم يمثلون خلافة وقيادة هامة واسعة من الجزائر الشّرقية والوسطى، وتفكيك عروش الحشم بإبعادهم عن مواطنهم وتشيتيتهم على دواوير مختلفة وعدم السّماح لهم بإعادة ترتيب بيتهم

السياسي⁽²¹⁾ ومن جهة ثانية كانت في إطار التحضير لعملية استيطان الأوروبيين في شروط طبيعية وسياسية ملائمة.

• أبعاد تهجير قبائل إقليم البرج إلى الحضنة:

تتضمن الكثير من التقارير العسكرية الفرنسية التي كتب بين 1871م - 1876م البعد الحقيقي لهذه العملية التي أثارت استمزاز بعض الفئات الفرنسية نفسها، لأنها خرجت عن نطاق المعاملات، والأعراف الدولية المتعارف عليها إلى غاية هذه الفترة، لأنها جاءت في ظرف دولي كانت فرنسا في وضع القهر والرجعة بعد حرب الوحدة الألمانية. هل يمكن اعتبارها مجرد رد على انتفاضة شعبية قد سبقتها عدة انتفاضات مماثلة في مناطق أخرى؟ أم هل هي حكم المعمرين وسيطرة الطبقة الرأسمالية الاستعمارية التي وصلت الحكم بعد 1871م أمثال جول فيري وغيرهم ودور المكاتب العربية خلال وبعد ثورة 1871م؟. لقد أرادت فرنسا تحقيق جملة من الأهداف⁽²²⁾.

1- تحطيم روح المقاومة الشعبية وتلاحم الرّيف الجزائري مع القيادات المحلية أمثال المقراني وبومزراق والحدّاد. وهذا ما كتبه التقارير المتعلقة بإعادة تنظيم قيادة المقرانيين في المسيلة قبل انتفاضة 1871م.

2- تفكيك القبائل التي مثّلت سند المقرانيين وتشيتيتها عن أوطانها وعدم ترك فرص لانتفاضات مماثلة مثل قبائل الحشم (وهي عملية تطبيقية لقرار المجلس المشيخي الصادر في 22/04/1863م الذي اعتبرت فرنسا من خلاله أن الريف الجزائري من البدو الرحل هو خزان المقاومة الشعبية).

3- الانتقام من القبائل التي ساندت المقراني بالمسيلة بتهجيرها ومصادرة أراضيها عامل هام لإقامة مناطق استيطان للأوروبيين. (الكثير من هذه القبائل تم ترحيله إلى جزيرة كاليدونيا الجديدة).

4- تكملة عملية التفكيك والتفتيت الاجتماعي والاقتصادي الذي شرعت فيه فرنسا منذ مرسوم 22 أفريل 1863م المعروف بقانون المجلس المشيخي المتعلق بالملكيات العقارية.

1- التّحكم والسيطرة على القبائل في إطار تنظيم جديد ضمن الحكم المدني والقضاء على التنظيمات القيادية التقليدية للمجتمع الرّيفي الجزائري. بحيث نقلت منطقة البرج من قيادة المقرانيين، والمكاتب العربية ضمن المحيط العسكري إلى قيادة البلديات المختلطة تحت سلطة المتصرفين الإداريين.

2- تهيئة الظروف الطّبيعية لعملية توطين المعمرين الجدد التّازحين من الألزاس واللورين بعد حرب الوحدة الألمانية 1870م. (وقد أشار إلى ذلك رئيس المكتب العربي لمركز برج بوعريـيج الضابط "Payen")⁽²³⁾، كما كتبت التّقارير العديدة للمتصرفين الإداريين⁽²⁴⁾. إن قرارات الرّدع والمصادرة والضرائب التي واكبت مشاركة أهالي منطقة البرج في انتفاضة 1871 من جهة، والتفكيك الذي حلّ بالسكان والعروش من جانب آخر، كان بمثابة ظروف ملائمة لاستقطاب حركة الاستيطان الأوروبي في مراكز الاستيطان التّسعة التي استحدثت بإقليم برج بوعريـيج وهي: Galboi برج غدير macDonald, Davoux, leCourbe, laBarbinais, Lavoisier, Paul Doumer Ceres, وعين تاغروت التي استحدثت كمركز استيطان منذ 1873 ثم انتقلت إلى بلدية منذ 1880/12/27 (bulletin officielle du gouvernement general page176). وكذلك مركز الاستيطان ببئر قاصد علي الذي استحدث سنة 1873 بمساحة 3130 هكتار ضمت 42 عائلة أوربية وغيرهم منذ 1873 وقد قدر سكان مركز عين تاغروت من الأهالي سنة 1892 بـ 3940 نسمة ومن الأوروبيين 177 فردا.⁽²⁵⁾ كما شجعت فرنسا الشركات الرأسمالية الاستثمار في الأراضي الفلاحية المصادرة من سكان المنطقة مثل الشركة السويسرية التي استحدثت ببرج بوعريـيج سنة 1878 والتي تكونت من 10 أعضاء أوريين والتي طالبت السّلطة الفرنسية منحها 20 ألف هكتار منها 10 آلاف هكتار تقع شمال غرب مدينة برج بوعريـيج و 10 آلاف هكتار برأس الوادي التي تأخذ اسم Tocqueville فيما بعد كما قرّرت السلطة الاستعمارية تخصيص من 500 إلى 1000 هكتار لإسكان من 5 إلى 10 عائلات أوربية بها.

انتقل إقليم البرج من دائرة عسكرية إلى بلدية مختلطة في 13 نوفمبر 1874 وقد ضمّ ستة مناطق إدارية هي عين تاغروت والذي تحول إلى قرية استيطان أوربية والثانية عين تاغروت مع فرقة سدراته والشويجة والثالثة سيدي امبارك وبئر عيسى والرابعة العناصر مع قمور وتاسرة والخامسة دوار صنادة والسادسة دوار مجانة وعين السلطان وتستمر البلدية إلى غاية تحولها الى اسم بلدية المعاضيد المختلطة في 22 ماي 1890.

ويبدو الهدف العنصري الذي يخرج عن نطاق الإنسانية كان الأكثر وضوحا في تقارير أوامر القيادات العسكرية الفرنسية، بعد الإعدام والتّقي والتهجير لقبائل الحشم وفرض غرامات الحرب.

● انعكاسات انتفاضة المقراني على المجتمع المحلي:

لقد كان لثورة المقراني انعكاسات اجتماعية جدّ مؤثرة على بنية المجتمع وتوزيعه الجغرافي وعلاقاته⁽²⁶⁾ أدت إلى فراغ بشري كبير حلّ بها عقب انتهاء الثورة وبداية عمليات المصادرة والمتابعة وإجراءات القهر الاستعمارية، ويشهد الفرنسيون أنفسهم حجم التأثير الذي حلّ بالسكان بمنطقة المسيلة. فالضّابط باين (Payen) الذي شغل منصب رئيس المكتب العربي لبرج بوعريّيج بين 1860م إلى 1869م، وكان من بين الضّباط المهتمين بالتاريخ والأبحاث الأثرية يؤكّد في مقاله حول تعمير المسيلة بأن مقاطعة المسيلة خصوصا قد شهدت فراغا بشريا رهيبا أكثر مما شهدته منطقة مجانة نفسها التي كانت تمثل إقليم عائلة المقراني وحشمه، ويذكر أن أغلب الأراضي التي كانت تعمرها وتسقيها عروش المسيلة قد وجدها جيش الاحتلال الفرنسي فارغة وتحت حرية تصرفه⁽²⁷⁾.

كما أنّ عملية مصادرة الأراضي والأملاك التي مسّت السّكان والفرق التي وقفت إلى جانب المقراني وعرفت بالمنافقين قد أدت إلى عملية تهجير جماعيّ للسكان بإقليم المسيلة خصوصا من منطقة السوامع، وأولاد عبد الله، وأولاد ماضي حققت غاية وهدف فرنسا في إطار سياسة التشتيت والتهجير وإيجاد مواطن ملائمة للمستوطنين الجدد من جانب التشتيت كانت انتفاضة المقراني عاملا هاما في هروب عروش المسيلة، وترك أراضيهم قبل حدوث انتقام الفرنسيين منهم. وسياسة التهجير التي اتبعتها فرنسا أدّت إلى انقسام عرش

السّوامع إلى السّوامع القبالة الذين بقوا في منطقتهم الأصلية ببوحامدو، السّوامع الظهارة الذين رحلوا إلى منطقة بياضه غرب المسيلة ويمثلون فرقة أولاد عبد الله.

كما قامت فرنسا بتهجير فرقة الدحادحية من عرش أولاد ماضي، بسبب موقفهم من فرنسا وجعلت من الذين وقفوا إلى جانبها مثل أمير مشيخة أولاد معتوق الطيب دحدوح، على رأس قيادة أولاد إبراهيم سنة 1872م، قبل أن تتحول هذه القيادة إلى محيط بوسعادة العسكري، ضمن محافظة الجزائر سنة 1874م⁽²⁸⁾. كما أدّت ثورة المقراني إلى هجرة عدد كبير من السّكان إلى شرق ووسط الجزائر والمسيلة وترك أوطانهم متجهين إلى مناطق في شرق ووسط البلاد⁽²⁹⁾ بحيث هاجر سكان عرش أولاد درّاج وفرقة السوامع بدرجة كبيرة نحو مدن الشرق الجزائري مثل تبسة، الشمرّة، العلمة، قلالة، ووادي زناقي، وعنابة، والشريعة والسهول القسنطينية وحتى إلى تونس في حين هاجر سكان الخرابشة المعاضيد ونوغة نحو مدن الوسط كالعاصمة، وبلاد القبائل، واشتغلوا بها في أعمال البناء والمذابح والحمامات وغيرها.

كما انتقلت جماعات أخرى من عرش السّوامع المرحلين من منطقتهم إلى مناطق سهول سيدي عيسي ومنطقة بالحوث بمحيط أومال "سور الغزلان". في حين تذكر بعض الرّوايات الشّفوية انتقال بعض فرق السّوامع إلى تونس بمنطقة الجريد.

إنّ عملية التهجير بالقوة، أدّت إلى بروز مظاهر عدم الانسجام لهذه الفئة بالمجتمع والبيئة الجديدة نظرا للتباين الكبير بين وضعهم كملاك أراضي خصبة في التلّ في ظروف زراعية ومناخية سهلة ومكانة اجتماعية مميزة وبين الوضع الجديد في الأراضي الرديئة في مناخ جاف ونقص في المياه وتشكيلات اجتماعية لم يألفوا طبائعها وسلوكياتها. كما برزت مشاكل هذه الجماعة مع أناس المنطقة حول حدود الأراضي الممنوحة لهم في الوقت الذي بقيت فيما بينهم في المشاع حسب مواطنهم الأصلية، وانتقل الصّراع الجديد الذي كان من المفروض أن يقع بين المحتلّ والأهالي إلى تنازع بين الأهالي الجزائريين حول الأراضي الرديئة بمختلف فرقهم تلية وحضنية.

أدت ثورة المقراني إلى إحداث تحولات عميقة في واقع السكان الاقتصادي والاجتماعي، كما أنّ انتقام فرنسا من سكان منطقة الحضنة وقبائل البرج خاصة أدّى إلى تحول في ملكيات الأراضي بين الناس، أدّى بدوره إلى التأثير على المردود الاقتصادي الزراعي والحيواني للمنطقة⁽³⁰⁾.

لقد عمدت فرنسا إلى سياسة التفكيك الاجتماعي للقبائل الوافدة على المسيلة من الحشم وقبائل برج بوعريّيج الأخرى بعد أن أنهكتهم بضرائب الحرب القاسية، بهدف إبقاء الأهالي في صراع مستمرّ فيما بينهم، فقررت منح الأراضي لمن يخدمها خمس سنوات بعد أن فرّ أصحابها بسبب مواقفهم المؤيدة للمقراني، كما كانت قرارات استغلال الأراضي المتروكة عاملاً مشجّعاً لبعض القيادات المؤيدة من قبل فرنسا في احتلال أراضي العروش مع بعض العائلات النافذة والمتعاونة مع فرنسا.⁽³¹⁾

إنّ ما عرف بمشاكل أراضي حشم المقراني بمنطقة المسيلة، يعبرّ بصدق عن طبيعة الاحتلال الفرنسي وعن مخططاته لتفكيك المجتمع الجزائري، وإبعاد أية نية للمقاومة الشعبية أو الثورة خصوصاً بعد المشاركة الواسعة لسكان المنطقة إلى جانب المقرانيين في ثورة 1871 وكان من الطبيعيّ أن تظهر مشاكل متنوعة لجماعة حشم المقراني المرحّلين من مجانة إلى منطقة المسيلة، من حيث الواقع الجديد المفروض عليهم، نظراً للتباين الكبير بين ظروف معيشتهم والظروف الجديدة لمناخ وجغرافية المسيلة القاسية والجافة وتشير أغلبية مراسلات المتصرفين الإداريين وأعوانهم ببلدية المسيلة وبلدية بريكة وبلدية المعاضيد، وهي البلديات التي استقبلت أراضيها فرق حشم المقراني، أنه بعد سنة 1881 انقسم الحشم المرحّلين إلى المسيلة إلى دواوين: دوار مجانة التابع لبلدية الببيان المختلطة، ويضمّ جماعة ستارة وسيدي مبارك وقمور والعناصر بليمور وهم تحت إمارة الشيخ الشّريف بن ريغي إلى غاية 1887 و دوار سيدي مبارك التابع لبلدية المعاضيد.⁽³²⁾ استمرت مشاكل أراضي قبائل البرج المهجرة بالحضنة إلى فترة ما بعد تقسيم الأراضي فيما بينهم التي تمت في 1902/11/02 وشملت ستة فرق من قبائل البرج هي فرقة أولاد سيدي موسى - فرقة أولاد خلوف - أهل بومرقد - أولاد الحنايشة - أولاد ضباب - أولاد سيدي مبارك؛ وهذه الفرق كانت موزعة

في الأراضي التي منحت لهم بمنطقة الشّلال بالمسيلة وكان معدّل نصيب كل عائلة من الأراضي بين نصف جابدة إلى 2 جابدة⁽³³⁾.

لم يكن للسلطة الاستعمارية دور في حلّ المشاكل المستجدة والمنازعات بقدر ما كان حرصها على تحصيل الإنتاج، والغرامات المفروضة على هذه الأراضي، ورغم انسحاب أغلبية قبائل البرج من المسيلة في العقد الثّاني من القرن العشرين فقد برزت مشاكل من نوع جديد، ذلك أن الأهالي المحليين تنازعوا حول أحقيتهم في هذه الأراضي من جهة وفي حدودها من جهة ثانية بعد عمليات الرهن والبيع المتعددة التي عمت بين الحشم وبين سكان البلدية، والتي جعلت معظم الأراضي تستمر بورا دون استغلال⁽³⁴⁾.

خاتمة:

إن مسألة قبائل البرج المهجرة إلى الحضنة بعد ثورة 1871، وإن لم تحظ بالدراسة الوافية تظل تمثل ذلك الواقع الاجتماعي الذي آلت إليه كل أبعاد السياسة الاستعمارية الفرنسية التي تمثل فيها الحقد والعنصرية في أبشع صورها خلال احتلالها للجزائر، وقبائل برج بوعريّج المهجرة عنوة من التلّ إلى الحضنة نموذج ومثال للعديد من قبائل الجزائر التي عانت المصير نفسه، منها ما رحل بالقوة ومنها ما ارتحل خوفا من القوة كقبائل بني عامر بالغرب الجزائر بعد مقاومة الأمير عبد القادر وقبائل السّوامع بالمسيلة بعد انتفاضة المقراني. وقبائل البوازيد بعد انتفاضة البوازيد 1876 بمنطقة الزيبان، وتبقى بهذه الصّورة البشعة فرنسا الاستعمارية توثق لتاريخها الأسود في حقّ الدّكرة الوطنية الجزائرية وفي حقّ الإنسانية.

الهوامش والإحالات

- (1)- Ministère de la guerre ; notice sur la division territoriale de l'Algérie 1846, p 107.
- (2)- CAOMcentre d'archive d'outre-mer) Aix-en-Provence marseille): 8M43..Hachem hodna dénombrement de la population de cercle de bordj bouareridj1861
- (3)- BOGA (bulletin officiel du gouvernement général de l'Algerie 1872pp 286.290..
- (4)- Kamel Kateb, Européens et Juifs EnAlgérie (1830-1962) paris, editiond'INED,2001,pp162.163.

(5)- Payen c: colonisation du Hodnain Recueil des mémoires de la sociétéarchéologique du, département de Constantine 1893 pp 14,18
يعتبر الضابط بايان payen أحد ضباط المكاتب العربية الذين عيّنوا على مكاتب كل من باتنة وبرج بوعريّج منذ 1850، وهو من الضباط الذين اهتموا بدراسة آثار الرومان في المسيلة والأوراس وخاصة تيمقاد وتتبّع طرق الرومان القديمة، قدّم مجموعة من الدراسات التاريخية والأثرية بعد أن جاب مناطق المسيلة والهضاب العليا والأوراس، ومن أبحاثه التي نشرتها مجلة مجمع المعلومات حول المجتمع الأركيولوجي لمقاطعة قسنطينة بعنوان استيطان المسيلة. ومقال حول معلومات إقامة مجموعة المدن الرومانية لمقاطعة باتنة الصادر في نفس المجلة سنة 1857.

ACMM;B, 90,D1(installation des Hachems dans le Hodna 1876

(6)- كان مجموع الضريبة المفروضة على ناس الحشم خلال سنوات، (1878-1881) = 11530 فرنك
ACMM (archive de la communemixte de M'sila);B(boite),90,D (dossier)1
(Etat des impôts des Hachem).

(7)- أغلب القبائل التي رحلت سنة 1876 من إقليم برج بوعريّج إلى الحضنة من مناطق سيدي امبارك وصنادة والعناصر ومجانة، ACMM:B27, affaire hachem.

(8)-CAOM :93/1645,colonisation du hodna, expropriations; 1k/308, hachem hodna rapport 1884-1888.

(9)- ACMM;B boite, 90,D1(installation des Hachems dans le Hodna)

(10)- Ibid.

(11)- ACMM;B, 181,Dossier Hachems (rapport du caid Boudiaf Sakhri 8/04/1897)

(12)- ACMM;B, 181, Dossier Hachems (Lettre du Général de la sougeole à L'Administrateur de M'sila 10/06/1882).

(13)-Rinn,louis :Histoire de l'insurrection de 1871,pp10-14

(14)-CAOM: 1K308,hachem rapport quotidien 1871-1876.

(15)- ACMM;B, 90,D1(installation des Hachems dans le Hodna 1876

(16)- CAOM (centre d'archive d'outre-mer,aixe -en, Provence Marseille):8h/43,hachem,hodna,rapport du 21/01/1877

(17)-ACMM; B, 90,D1 (installation des Hachems dans le Hodna 1876).

(18)- توجد قوائم اسمية للسكان الحشم الفارين من المسيلة إلى مختلف المدن ضمن أرشيف بلدية

المسيلة ضمن علب 90- ACMM;B, 181, Dossier Hachem

(19)- CAOM;8m43hachem. Rapport du commandant de la division de Constantine 1/1/1876.

(20)-A C M M;boite 94, dossier hachem,

في الملف قوائم اسمية لأناس الحشم المهجرين من مجانة ومناطق التل إلى مختلف مناطق المسيلة.

- (21)- ACMM: B,90(rapport de chef de cercle de bordj bouareridj 18/02/1876).
- (22)- ACMM: B,90 (rapport de chef de cercle de bordj bouareridj 18/02/1876).
- (23)- Payen c :op-cit , p 14.
- (24)- ACMM:, rapport de l'administrateur de la commune mixte de M'sila 1886. B27: rapport sur la situation des indigène deCM M'sila,1911; plainte des citoyens de la ville de M'sila a monsieur le préfet de Sétif 1911.
- (25)- Caom, 8h21, monographie des unités territoriales, commune aintaghroute.
- (26)- ACMM;B;171.(Lettre du Général de la sougeole à L'Administrateur de M'sila 10/06/1882). (Rapport caïd- Ouled – Hdiden 18/10/1902). et B224, D1 (Délibération Commission municipale 29/03/1888).
- (27)- ACMM;B, 90, D1, (Rapport du Djemaa des Hachems de douar Saïda 28/12/1895.
- (28)- ACMM:B, 90,D1(rapport caïd Boudiaf SakhricaïdHodna occidentale 13/11/1890
- (29)- Despois,Jeans;leHodna ,pp231.235
- (30)- ACMM:B90, affaire hachem,rapport de l'administrateur de m'sila a monsieur le prefet de setif,29/09/1911.
- (31)- ACMM: B90: dossier, hachem, lettres de djemaa hachem, souamaa. 1878.
- (32)- ACMM; B,181, lettre Administrateur de M'sila au chef d'annexe de biban 21/9/1899. (Lettre à L'administrateur de Maadid 13/02/1893) et lettre Djemaa Bouhmadou-2-4-1893.
- (33)- ACMM(archive de la commune mixte de M'sila);B(boite), 90, D(dossier)1, (Rapport du Djemaa des Hachems de douar Saïda 28/12/1895.
- (*) - الجابدة بمنطقة المسيلة عامة تعادل حرت يوم بالحصان وما تزال مستعملة إلى اليوم حسب
الذاكرة المحلية.
- (34)- ACMM:B181,dossier hachem, rapport des caïd des douars 20/01/1898